التواشج المعرفي بَيْنَ الأَدَبِ والنَّحْوِ فِي التُّرَاثِ العَرَبِيّ

Knowledge alumism between literature and grammar in the Arab heritage

الملخص

التواشج المعرفي بَيْنَ الأَدَبِ والنَّحْوِ فِي التُّرَاثِ العَرَبِيّ

الملخص

اتَّسمت علاقة كثير من علوم اللغة العربية بالتواشج والارتباط العضوي فيما بينها، وعلى الرغم من تباين بعض الموضوعات والاهتمامات من علم لآخر، إلا أنَّ ذلك لم يمنع الارتباط والتداخل الواضح فيما بينها. وتأتي أهمية هذه الدراسة في أنها تبحث بين علمين مهمين قطبين في العلوم العربية قديمًا وحديثًا، كنموذج على التواشج.

وتهدف هذه الدراسة إلى سبر أغوار العلاقة التواشجية بين الأدب والنحو في التراث العربي، واستجلاء مظاهرها، قديمًا وحديثا وجاءت هذه الدراسة لتُجيب على تساؤلات عدة، منها: ما مظاهر التواشج المعرفي بين الأدب العربي والنحو العربي؟، ما دور الأدب في نشأة النحو وتطوُّرِه؟، هل التواشج المعرفي بين الأدب والنحو يتزايد أم يتناقص؟

واتبعت هذه الدراسة المنهج الاستقرائي الوصفي؛ كونهما يعطيان الأولوية لدراسة مظاهر التواشج المعرفي بين العلميين.

ولخصت الدراسة إلى مجموعة من النتائج وهي: أن النحو وقواعده ضروري لفهم المعنى وتحليل النصوص الأدبية، وأن نحو النص من الدراسات الحديثة التي تؤكد مظاهر هذا التواشج بين الأدب والنحو.

الكلمات المفتاحية: علم، جملة، دلالة وظيفة، معرفة

Knowledge alumism between literature and grammar in the Arab heritage

Summary

Many Arabic language sciences have a relationship with each other and organic correlation, and although some topics and interests vary from science to science, this .has not prevented the apparent correlation and overlap between them

The importance of this study is that it examines between two important polar sciences .in Arabic sciences, old and new, as a model on the twashj

This study aims to explore the depths of the relationship between literature and grammar in the Arab heritage, and to clarify its manifestations, old and new, and this study came to answer several questions, including: What are the manifestations of cognitive correlation between Arabic literature and Arabic grammar?, what is the role of literature in the genesis and development of grammar?, is the cognitive correlation between literature and grammar increasing or decreasing?

This study followed the descriptive inductive approach, as they prioritized the study of .manifestations of cognitive ization among scientists

The study summarized a set of findings: that grammar and its rules are necessary to understand meaning and analyze literary texts and that towards the text of modern .studies that confirm the manifestations of this combination of literature and grammar

Keywords: Science, Sentence, Function Indication, Knowledge

• التواشج المَعْرِفِيُّ بَيْنَ اَلأَدَبِ والنَّحْوِ فِي التُّرَاثِ العَرَبِيّ.

المقدمة

شهدت الدراسات اللغوية الحديثة تقدما في مجال تحليل النص الأدبي؛ فتجاوزت موضوع أن الجملة أكبر وحدة لغوية إلى فضاء لغوي أوسع هو فضاء النص.

وقد سعت هذه الدراسة إلى الوصول لمعرفة مدى التواشج المعرفي والترابط النصي بين النحو والأدب، فالخطاب الأدبي لابد له من ترابط، وهذا الترابط يكمن في مجموعة من الجمل والعلاقات الداخلية التي تتظافر فيما بينها وتشكل علاقة جمالية بغية الوصول إلى المتعة الفنية من هذا النص.

وهذا الترابط بين الجمل في النص أو بين الأجزاء المكونة للنص يمثل الأساس الذي يقوم عليه الربط التركيبي في الخطاب الشعري؛ فقد كان الربط بالأداة في النصوص الشعرية أوسع آليات الترابط النحوي تحققاً؛ فقد شكلت أهمية كبيرة في تكوين علاقات الاتساق داخل هذه النصوص من خلال شبكة من العلاقات بين الجمل المتباعدة داخل النص علاقات تركيبية داخلية، وعلاقات أخرى بين النص ومحيطه أو بما يسمى بعالم النص، وقد تفاوت هذا الحضور طبقاً لمقاصد الخطاب، مضفياً نوعاً من العلاقات الدلالية داخل البنى النصية.

ولقد ارتبط علم النحو بالعمل الأدبي ارتباطًا وثيقًا، وذلك لما له من أثَرٍ في تشكُّل الكلمة وجريانها السياقي في مجمل العمل الإنساني بعامة، والعمل الأدبي بصفة خاصة، وتكمن هذه العلاقة التواشجية في تحديد وظيفته وسلطته على العمل الأدبي.

وتغدو هذه العلاقة تواشجية؛ فأواصر هذا التواشج والتلاقي ظاهرة جلية، قديمة قِدَم نشأة العِلمين وتطورهما، فالزركشي يقول: "على الناظر في كتاب الله الكاشف عن أسراره، النظر في هيئة الكلمة وصيغتها ومحلها: ككونها مبتدأً أو خبرًا، أو فاعلةً أو مفعولةً، أو في مبادئ الكلام أو في جواب... إلي غير ذلك[1]، ويظهر بجلاء النظر إلى الكلمة وصياغتها وبيان وظيفتها.

فآثرنا في هذا البحث أن نستجلى مظاهر هذا التواشج المعرفي بين العلمين وتاريخه وأهميته في نشأة العلمين وتطورهما؛ لذلك جاء عنوان هذا البحث «**التواشج المعرفي بين الأدب والنحو في التراث العربي**».

---

[1] () انظر: الزركشي، محمد بن عبد الله، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مكتبة دار التراث،1984، القاهرة، ص 302.

وتأتي أهمية هذا البحث في أنه يبحث في التواشج المعرفي بين علمين مهمين قطبين في العلوم العربية قديمًا وحديثًا، كنموذج على االتواشج المعرفي الذي يسود كثير من العلوم العربية اللغوية وغيرها، وكذلك رصد أثر تطور العلمين على التداخل المعرفي بينهما.

وتهدف هذه الدراسة إلى سبر أغوار االتواشج المعرفي بين الأدب والنحو في التراث العربي، واستجلاء مظاهره قديمًا وحديثًا، ورصد مكانته وأهميته للعلمين، وتطور التواشج المعرفي فيما بينهما. **وجاءت هذه الدراسة لتُجيب على تساؤلات عدة، منها:**

- ما مظاهر التواشج المعرفي بين الأدب العربي والنحو العربي؟
- ما دور الأدب في نشأة النحو وتطوره؟
- ما مكانة النحو وأهميته للأدب العربي قديمًا وحديثًا؟
- هل التواشج المعرفي بين الأدب والنحو يتزايد أم يتناقص؟ وما مظاهر ذلك وأسبابه؟

واتبعت هذه الدراسة المنهج الوصفي الاستقرائي، وجاءت موجزة شاملة لكل الآراء لم تقتصر على رأي عالم دون غيره أو مدرسة دون غيرها وكون هذا الأمر يعطي الأولوية لدراسة مظاهر هذا التواشج المعرفي بين العلمَين، لما فيه من استنباط واستجلاء موضوع البحث، وجاء هذا البحث في مقدمة وتمهيد وثلاثة محاور، وخاتمة فيها أهم النتائج والتوصيات، كما يأتي:

– **المقدمة**: وفيها أهمية البحث وأهدافه ومنهجه وتساؤلاته وخطته ..الخ.

– **التمهيد**: الأدب والنحو: تعاريف ومفاهيم واهتمامات.

– **المحور الأول**: دور الأدب في نشأة النحو وتطوره.

– **المحور الثاني**: أهمية النحو ومكانته في الأدب العربي.

– **المحور الثالث**: تطور التواشج المعرفي بين الأدب والنحو قديمًا وحديثًا.

– **الخاتمة**: وفيها أهم النتائج والتوصيات.

الدراسات السابقة:

1- التكامل المعرفي بين علوم العربية: النحو، الصرف، الإملاء، البلاغة وأصول النحو د. ربيعة العمراني الإدريسي، وقد تناولت فيه العلاقة بين العلوم في مضمار الحديث عن هذه العلوم وفقا لطبيعتها العلمية، ويختلف عن هذا البحث في العلاقة بين النحو والأدب في مضمار تحليل النص الأدبي والعلاقة بينهما.

2- التكامل المعرفي بين العلوم الشرعية والعربية وهو بحث بمجلة البيان في دائرة الضوء العدد 359للدكتور عبد الله بن ناجي ويعني هذا البحث أن علوم الشرعية ترتبط بعلوم اللغة العربية ارتباطاً وثيقاً؛ وهو ما أمكن الوقوف عليه من خلال العديد من مستويات الترابط التي تشكل استمدادات متبادلة بين العلوم الشرعية والعلوم اللغوية.

- **التمهيد: الأدب والنحو: تعاريف ومفاهيم واهتمامات.**

أولاً: التعريف بالأدب وأهميته:

إنَّ الأدب هو" فن الإبانة عمَّا في النفس، والتعبير الجميل عن مكنون الحس، والتصوير الناطق للطبيعة، والتسجيل الصادق لصور الحياة ومظاهر الكون ومشاهد الوجود"[2]. وأنَّ أكبر تقسيم للأدب هو تقسيمه إلى شعر ونثر [3].

والأدب هو كل ما يؤثّر في النفس من نثرٍ رائع وشعرٍ جميلٍ، يُراد به التعبير عن مكنون العواطف والضمائر وسوانح الخواطر بأسلوب إنشائيٍّ أنيق، يُطلَق على الشعر والنثر الفنيّ فحسْب. وعرَّف الشريف الجرجاني الشعر بقوله:" كلام مقفًى موزون على سبيل القصد"[4]، وقَالَ أَبُو عَليّ مسكويه:" إِن النّظم والنثر نَوْعَانِ قسيمان تَحت الْكَلَام وَالْكَلَام جنس لَهما. وَإِنَّمَا تصح الْقِسْمَة هَكَذَا: الْكَلَام يَنْقَسِم إِلَى المنظوم وَغير المنظوم. وَغير المنظوم يَنْقَسِم إِلَى المسجوع... فَكَذَلِك النّظم والنثر يَشْتَرِكَانِ فِي الْكَلَام الَّذِي هُوَ جنس لَهما ثمَّ ينْفَصل النّظم عَن النثر بِفضل الْوَزْن الَّذِي بِهِ صَار المنظوم منظوماً. وَلما كَانَ الْوَزْن حلية زَائِدَة وَصُورَة فاضلة على النثر صَار الشّعْر أفضل من النثر من جِهَة الْوَزْن "[5]. ويختلف الكتّاب الغربيون في تعريف الأدب، فالناقد الأمريكي (إمرسن) يرى أن الأدب سجل لخير الأفكار، كما يرى (برك) أن الأدب أفكار الأذكياء ومشاعرهم مكتوبة بأسلوب يلذ للقارئ، أمَّا الناقد الفرنسي (سانت بيف) فيرى أن الأدب هو الأسلوب الجميل الذي يصور الحقائق الإنسانية [6].

وإنَّ الأدب من العلوم الرئيسة المهمة في حياة البشر، ويؤكد مصطفى صادق الرافعي أهمية الأدب قائلاً: "والأدب من العلوم كالأعصاب من الجسم، هي أدق ما فيه، ولكنها مع ذلك هي الحياة والخلْق والقوة والإبداع"[7].

---

[2] () محمد خفاجي: الشعر الجاهلي، (ص١٣).

[3] () محمد مندور: الأدب وفنونه، (ص25، 41).

[4] () الجرجاني، التعريفات، (167/1).

[5] () أبو علي مسكويه، الهوامل والشوامل، (ص347).

[6] () أحمد الشايب أصول النقد الأدبي، (ص17).

[7] () الرافعي، تحت راية القرآن، (ص130).

ويذهب أحمد عامر إلى أنَّ " الأدب صورة النفس، أو ترجمان النفس، والشاعر أو الأديب هو الذي يعبر عن نفسه، فيجيد التعبير. إنه يترك نفسه على سجيتها تنبض بما في داخلها، مندفعة بطاقات التجارب المتعددة"[8]. والأدب هو الكلام الجيد من الشعر أو النثر الذي يثير شعور القارئ أو السامع ويحدث في نفسه لذة فنية كاللذة التي يحسها عند سماع الأنشودة أو توقيع الموسيقى أو رؤية الجمال؛ وهو التعبير الجميل عن معاني الحياة وصورها، هو مأثور الشعر الجميل أو النثر البليغ المؤثر في النفس المثير للعواطف.

ثانيًا: التعريف بالنحو وأهميته:

عرَّفَهُ الجرجَاني بأنَّهُ "عِلْمٌ بِقَوَانِيْنَ يُعْرَفُ بِهَا أَحْوَالُ التَّرَاكِيْبِ العَرَبِيَّةِ مِنْ الإِعْرَابِ والبِنَاءِ وَغَيْرِهَا. وَقِيْلَ: عِلْمٌ بِأُصُوْلٍ يُعْرَفُ بِهَا صِحَّةُ الكَلامِ وَفَسَادُهُ» [9]. وعرَّفه ابن حزم بأنَّهُ «عِلْمُ اخْتِلَافِ الحَرَكَاتِ الوَاقِعَةِ لاخْتِلافِ المعَانِي» [10]. ويرى صاحب (كشاف اصطلاحات الفنون) أنّ "عِلْمَ النَّحْوِ، ويُسَمَّى عِلْمُ الإعْرَابِ، وهُوَ عِلْمٌ يُعْرَفُ بِهِ كَيْفِيَّةُ التَّركيبِ العَرَبِيّ صِحةً وسُقْمًا، وكَيْفِيَّةُ مَا يَتَعَلَّقُ بِالأَلْفَاظِ؛ مِنْ حَيْثُ وَقُوْعِهَا فِيْهِ مِنْ حَيْثُ هُوَ، أَوْ بِوُقُوْعِهَا فِيْهِ ... والغَرَضُ مِنْهُ الاحْتِرَازُ عَنْ اَلْخَطَأِ فِي التَّألِيْفِ والاقْتِدَارُ عَلَى فَهْمِهِ والإِفْهَامُ بِهِ». [11] وعرَّفَهُ اِبْنُ جِنّي بِقَوْلِهِ:" هُوَ اِنْتِحَاءُ سَمْتِ كَلَامِ اَلْعَرَبِ فِي تَصَرُّفِهِ؛ مِنْ إِعْرَابٍ وَغَيْرِهِ، كالتَّثْنِيَةِ وَالْجَمْعِ والتَّحْقِيْرِ والتَّكْسِيْرِ وَالإِضَافَةِ والنَّسَبِ والتَّرْكِيْبِ وَغَيْرِ ذَلِكَ؛ لِيَلْحَقَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ العَرَبِيَّةِ بِأَهْلِهَا فِي اَلْفَصَاحَةِ، فَيَنْطِقُ بِهَا وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْهُمْ، وَإِنْ شَذَّ بَعْضُهُمْ عَنْهَا رُدَّ بِهِ إِلَيْهَا"[12]. والنحو هُوَ اَلْعِلْمُ الَّذِي اِسْتَخْرَجَهُ اَلْمُتَقَدِّمُوْنَ مِنْ اِسْتِقْرَاءِ كَلَامِ اَلْعَرَبِ [13].، ويرى ابنُ خُلدون أنَّ النَّحْو هُوَ اَلْعِلْمُ الَّذِي يَهْدِفُ إِلَى ضَبْطِ اَلْمَلَكَةِ اللِّسَانِيَّةِ بالقَوَانِيْنِ اَلْمُسْتَقْرَأَةِ[14].

إنَّ الإعراب فرعُ اَلْمَعْنَى، وهو ركيزة علم النحو، وإنَّ اخْتِلَافَ الإِعْرَابِ وتَعَدُّدَ أَوْجُهِهِ دَلِيْلُ تَعَدُّدِ اَلْمَعَانِي وَتَوَالِدِها فِي الجُمْلَةِ الوَاحِدَةِ؛ يقولُ ابنُ جني أيضًا:" أَلَا تَرَى أَنَّ مَوْضُوْعَ الإِعْرَابِ إِنَّمَا جِيْءَ بِهِ دَالاً عَلَى اِخْتِلَافِ اَلْمَعَانِي "[15].

---

[8] () فتحي أحمد عامر، من قضايا التراث العربي : الشعر و الشاعر (ص95).

[9] () الشريف الجرجاني التعريفات، (ص240).

[10] () ابن حزم، الإحكام في أصول الأحكام، (126/5).

[11] () ينظر: لمحمد بن علي التهانوي، كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، (23/1).

[12] () ينظر: ابن جني الخصائص، (35/1).

[13] () ينظر: ابن عصفور، المقرب، (45/1).

[14] () ينظر: ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، (296/2).

[15] () المصدر السابق نفسه، الصفحة نفسها.

وتكمن أهمية علم النَّحْو في أنه عِمَادُ اللُّغَةِ والأَدَبِ والبَلاغَةِ. بَلْ هُو عِمَادُ الثّقَافَةِ والعُلُومِ العَرَبِيَّةِ القُحَّةِ. فَلَا فِقْهَ ولا حَدِيْثَ وَلَا عِلْمَ كَلامٍ بِدُوْنِهِ. وَيَعتبرُ العُلماءُ أنَّ عِلْمَ النَّحْوِ بِمَكانَةِ أَبِي العُلُومِ العربيَّةِ، وهُوَ اَلْقَنْطَرَةُ اَلَّتِي نُعَبِّرُ بِهَا عَلَيْهِ إِلَى التَّزَوُّدِ بِالعُلُومِ اللُّغَوِيَّةِ والشَّرعِيَّةِ وَغَيْرِهَا، فَهُوَ وَاسِطَةُ عِقْدِهَا [16]، قَالَ يَاقُوْتُ اَلْحَمَوِي:" وَحَسْبُكَ شَرَفُ هَذَا اَلْعِلْمِ، أَنَّ كُلَّ عِلْمٍ عَلَى اَلإِطْلاقِ مُفْتَقِرٌ إِلَى مَعْرِفَتِهِ، مُحْتَاجٌ إِلى اِسْتِعْمَالِهِ فِي مُحَاوَرَتِهِ ". [17]

إن للنحو دوره الفاعل في دراسة كافة تجليات الإبداع في العربية، ويمكن أيضا أن نجد تفسيرا مقنعا لكثير مما يوصف بالشذوذ أو الضرورة في قواعد اللغة، كما أن كثيرا من الظواهر التي تستعصي على الوصف في اللسانيات المعاصرة يمكن أن تعالج أو تصاغ بطريقة أفضل إذا وصفت من جهة العلاقات القائمة بين الجمل في نص يتصف بالتماسك.

وبعد أن تعرفنا بإيجاز الأدب والنحو وأهميتهما ومكانتهما، نوجز الحديث عن العلاقة العضوية التي تربطهما معًا، ففي إطار العلاقة التركيبية داخل النص الأدبي، نجد أن النص يقوم على مجموعة من القواعد النحوية والدلالية التي تحدد بناءه الداخلي، وفي الوقت ذاته تنظر للنص بوصفه وحده كلية واحدة، ولايتأتى الوصول للمعنى الكلي للنص إلا بدراسة تلك العلاقات التركيبية الداخلية وإسقاط العوامل الخارجية التي يتطلبها فهم النص حتى يتماسك في وحدته الموضوعية والفنية في آن واحد.

إن بناء المعنى في دلالته التواصلية يتعلق بسلسلة تواصلية بين الأدب والنحو من حيث أنماط معينة داخل النص، فتتشكل قاعدة وهي ضرورة التمثل في كون النص ملفوظ ومبلغ في آن واحد، حيث يقول:

اِبْنُ خُلدون فِي اَلْمُقَدِّمَةِ:" اَلْفَصْلُ اَلْخَامِسُ وَالأَرْبعون فِي عُلُومِ اللِّسَانِ العَرَبِي، أَرْكَانُهُ أَرْبَعَةٌ: وَهِي اللُّغَةُ والنَّحْو والبَيَانُ والأَدَبُ، ومَعْرِفَتُهَا ضَرُوْرِيَّةٌ.."[18]. ويقول ابن الأثير:" لأنَّ الكاتِبَ أو الشَّاعِرَ إذا كان عارفًا بالمعاني، مُختارًا لها، قادرًا على الألفاظِ، مُجيدًا فيها، ولم يَكُنْ عارفًا بعلمِ النَّحْوِ، فإنَّهُ يَفْسَدُ مَا يَصُوْغُهُ مِنْ الكَلامِ، وَيَخْتَلُّ عَلَيْهِ مَا يَقْصُدُهُ مِنْ اَلْمَعَانِي"[19]. ويرتبط الشعر وهو أحد أنواع الأدب باللفظ، كما يرتبط النحو بدراسة اللفظ وحركة آخره، فهما يلتقيان في هذا الموضوع، ويذكر عبد القاهر الجرجاني "أنَّ فضل الشعر بلفظه لا بمعناه، وأنه إذا عدم الحسن في لفظه ونظمه لم يستحق هذا الاسم بالحقيقة"[20].

---

[16] () للاستزادة ينظر: عبد الله جاد الكريم، صلة النحو العربي بعلوم الشريعة الإسلامية واللغة)، (ص173).

[17] () ياقوت الحموي معجم الأدباء، (54/1).

[18] () ينظر: ابن خلدون، المقدمة، (294/2).

[19] () ينظر: ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ل (44/1).

[20] () عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، (ص197).

إن لكل نص استراتيجيات دلالية تقوم بإحكام الخطاب، وضبط عملية التواصل الخطابي، وتتعدد تلك الاستراتيجيات ضمن إطار الوحدة النصية، وتستلزم لبنائها تقنيات حتى تحقق التماسك الشكلي والدلالي.

ومن هنا يبرز لنا الأثر الأدبي الجميل في الوصول بالمعنى إلى تلك اللذة من خلال الدال النصي الذي يتجذر داخل النص مما يشكل انطباعا يصل بالمعنى للمفهوم داخل سياق الخطاب الأدبي.

ومما لا شك فيه أن هناك تكامل معرفي بين الأدب والنحو يمكننا تلمس مظاهر ذلك فيما يأتي:

- **المحور الأول: دور الأدب في نشأة النحو وتطوره.**

من المشهور أن الشعر "ديوان العرب، وخزانة حكمتها ومستنبط آدابها ومستودع علومها"[21]، وهو أحد الأنواع الرئيسة للأدب، وكما هو معروف أيضًا أنَّ الأدب شعرًا أو نثرًا لدى العرب أسبق نشأة وتطورًا من علم النحو وقواعده، وعندما شرع اللغويون والنحويون العرب في وضع قواعد النحو العربي قاموا باستقراء كلام العرب شعرًا ونثرًا، ولذلك يعرف العلماء علم النحو بأنه" إنه علم بمقاييس مستنبطة من استقراء كلام العرب"[22].

وكان الشعر العربي هو المصدر الأول في وضع القواعد النحوية، ويرى عَبْدُه الرَّاجحي:" أَنَّ اَلْوَصْفِيِّينَ يُقَرِّرُوْنَ أَنَّ هُنَاكَ مُسْتَوَيَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ مِنْ اَلْكَلامِ، وَأَنَّ لِكُلِّ مُسْتَوَى نِظَامُهُ وَقَوَانِيْنُهُ، وَأَنَّ اَلشِّعْرَ عَلَى وَجْهِ اَلْخُصُوْصِ لَهُ نِظَامُهُ اَلَّذِي يَخْتَلِفُ عَنْ نِظَامِ غَيْرِهِ مِنْ مُسْتَوَيَاتِ اَللُّغَةِ اَلأَدَبِيَّةِ ... وَقَصْرُ اَلدَّرْسِ النَّحْوِيِّ عَلَى هَذَا اَلْمُسْتَوَى أَفْضَى بِهِمْ إِلَى وَضْعِ قَوَاعِدِ اَلْعَرَبِيَةِ عَلَى أَسَاسٍ مِنْ اَلنُّصُوصِ اَلْمُخْتَارَةِ،.."[23]. ونجد التراث النحوي العربي يعج بالشواهد الشعرية والنثرية، دون الاستعمالات العادية للغة العربية في الجاهلية.

لكنَّ اَلإِنْصَافَ يَقْتَضِي مِنَّا أَنْ نَعْذُرَ نُحَاتَنَا اَلأَوَائِلَ فِيْمَا اِنْتَهَجُوْهُ مِنْ الاقْتِصَارِ عَلَى اَللُّغَةِ اَلأَدَبِيَّةِ لغة الشعر والنثر الأدبي، وَذَلِكَ لِأَنَّ اَلْغَايَةَ مِنْ نُشُوْءِ اَلنَّحْوِ هِيَ خِدْمَةُ اَلْقُرْآنِ اَلْكَرِيْمِ، وَالْقُرْآنُ نَزَلَ بِلُغَةٍ أَدَبِيَّةٍ رَفِيْعَةِ اَلْمُسْتَوَى، فَلا سَبِيْلَ إِلَى فَهْمِهِ وَتَحْلِيْلِ أَسَالِيْبِهِ وَتَرَاكِيْبِهِ إِلَّا فِي ضَوْءِ اَلأَسَالِيْبِ اَلأَدَبِيَّةِ اَلرَّفِيْعَةِ عِنْدَ اَلْعَرَبِ، وَهَذَا فِي ظَنِّي مَا دَعَاهُمْ إِلَى الاعْتِمَادِ عَلَى لُغَةِ اَلشِّعْرِ، كَوْنُهَا أَرْقَى

مُسْتَوَيَاتِ اَلأَدَبِ, وَاتِّخَاذِهَا مَصْدَراً لِقَوَاعِدِهِمْ وَأَحْكَامِهِمْ. يقول تَمَّامُ حَسَّانُ عن اعتماد النحاة العرب على اللغة الأدبية والشعر في تقعيد قواعد النحو العربي:" إِنَّ اَلنُّحَاةَ اَلْعَرَبَ لَمْ يَتَصَدُّوا لِهَذِهِ اَلْمُهِمَّةِ اَلْجَلِيْلَةِ إِلَّا لِخِدْمَةِ اَلْقُرْآنِ، فَلَوْلا عِنَايَتُهُمْ بِالْمُحَافَظَةِ عَلَى اَلنَّصِّ اَلْقُرْآنِيِّ مِنْ أَنْ تَتَسَرَّبَ إِلَيْهِ ظَاهِرَةُ اَللَّحْنِ، مَا فَكَّرُوا فِي ذَلِكَ اَلزَّمَانِ بِعَيْنِهِ،

---

[21] () أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين، (ص104).

[22] () ينظر: ابن السراج، أصول النحو، (35/1)، والسيوطي، الاقتراح في أصول النحو، (ص33).

[23] () عبده راجحي، النحو العربي والدرس الحديث، (ص48-49).

وَالْمَكَانِ بِعَيْنِهِ فِي إِنْشَاءِ اَلنَّحْوِ، وَالْقُرْآنُ نَصٌّ أُنْزِلَ بِاللُّغَةِ اَلأَدَبِيَّةِ، وَلَيْسَ بِلُغَةِ اَلتَّخَاطُبِ اَلعَادِيَّةِ، فَكَانَ عَلَى مَنْ يَوَدُّ اَلْمُحَافَظَةَ عَلَى اَلْقُرْآنِ، أَنْ يَدْرُسَ اَللُّغَةَ اَلَّتِي أُنْزِلَ بِهَا"[24].

وعليه، فإنَّ الأدب العربي بنوعيه الشعر والنثر كان العماد الرئيس الذي اعتمدت عليه قواعد النحو العربي عند نشأتها وتطورها، وهذا دليل قاطع وبرهان ساطع على تكامل الأدب والنحو في التراث العربي.

- **المحور الثاني: أهمية النحو ومكانته في الأدب العربي.**

إنَّ أهمية علم النحو ومكانته بين العلوم العربية لا تخفى على أحد، كما يرى ابن خلدون:" أن الأهم المقدم من علوم اللسان العربي، هو النحو إذا به يتبين أصول المقاصد بالدلالة فيعرف الفاعل من المفعول والمبتدأ من الخبر ولولاه لجهل أصل الإفادة "[25]. ويرى أنَّ:" علم النحو أهم من اللغة، إذا في جهلة الإخلال بالتفاهم جملة"[26]. ويقول الزركشى:" الإعراب هو الذي يميز المعنى"[27]، وإنَّ "جَرَيَانَ الكَلَامِ عَلَى أَحْكَامِ النَّحْوِ يَجْعَلُهُ صَحِيْحًا، وبُعْدُهُ عَنْهُ يَجْعَلُهُ فَاسِدًا، وَلَيْسَ بَيْنَ هَاتَيْنِ وَاسِطَةٌ، فَالكَلَامُ إمَّا صَحِيْحٌ لِجَرَيَانِهِ عَلَى عُرْفِ اللُّغَةِ فِي التَّرتِيْبِ الخَاصِّ الَّذِي يَتَّبِعَهُ الإعْرَابُ، وإمَّا فَاسِدٌ لِعَدَمِ اتِّباعِهِ أَحْكَامَ النَّحْوِ وَقِيَمَهِ"[28].

وإن موضوع علم النحو هو الجملة العربية التي هي أساس النص بأنواعه شعرًا أو نثرًا، ولذلك يرتبط النحو بالأدب ونصوصه ارتباطًا عضويًّا قويًّا، يقول القلقشندى مصورًا مفهوم النحو وارتباطه بالنص إبداعًا وفهمًا:" أنا ملح الكلام ومسك الختام، لا يستغنى عني متكلمٌ، ولا يليق جهلي بعالم ولا متعلم، بي تتبيَّن أحوال الألفاظ المركبة في دلالاتها على المقاصد ويرتفع اللبس عن سامعها، فيرجع من فهمها بالصلة والعائد، فلو أتى المتكلم في لفظه بأجل معنى ولحن لذهبت حلاوته وزالت طلاوته، وعيب على
قائله وتغيرت دلالته". [29] من أجل هذا اعتمد كثير من المفسرين والشراح للنصوص الأدبية المعرفة النحوية سبيلًا إلى تحقيق غايتهم المنشودة، وهي الوقوف على أسرار النصوص. يقول الزمخشري:" وذلك أنهم لا يجدون علمًا من العلوم الإسلامية: فقهها وكلامها وعلمي تفسيرها وأخبارها إلا وافتقاره إلى العربية —النحو–بيِّنٌ لا يدفع، ومكشوف لا يتقنع " [30].

---

[24] () تمام حسان، الأصول، (ص103–104).

[25] () ابن خلدون، المقدمة (294/2).

[26] () ابن خلدون، المقدمة (294/2).

[27] () الزركشي، البرهان في علوم القرآن، ا، (301/1).

[28] () ينظر: الزجاج، الإيضاح في علل النحو، (ص41).

[29] () القلقشندي، صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، (241/14).

[30] () الزمخشري، المفصل في صنعة الإعراب، (ص18).

ومما لا شك فيه أن مراعاة قواعد النحو من الأمور الرئيسة في الأدب العربي بكل فنونه وألوانه، فالأدب العربي يسعى للتعبير عن المعنى وإظهاره وتوضيحه، والإعراب (النحو) فرع المعنى، وإنما جيء بالإعراب وعلاماته للدلالة على المعنى وتوضيحه، وهذا أمر جلي يؤكد درجة التكامل المعرفي بين الأدب والنحو [31]. يقول صاحب المستوفي:" النحو صناعة علمية ينظر لها أصحابها في ألفاظ العرب من جهة ما يتألف بحسب استعمالهم لتعرف النسبة بين صيغة النظم، وصورة المعنى"[32].

ويقول الدكتور محمد حماسة عبد اللطيف: "وإذا تناولنا الشِّعر بوصفه فنًّا لغويًّا، فإنَّ النَّحو في هذه الحالة يعدُّ أحدَ الأبنية الأساسية التي ينبغي الاعتماد عليها في تفسيره؛ لأنَّ العلاقات النَّحوية في النص على مستواه الأفقي هي التي تخلُق أبنيته التصويرية والرَّمزية، وعلى مستواه الرَّأسي هي التي تُوجِد توازيَه وأنماط التَّكرار فيه، وتُحكم تماسكَه واتِّساقه، وهذا كله يؤسِّس بنيةَ النص الدَّلالية"[33].

كما أنَّ للنَّحو قيمةً كبيرة في تحليل النصوص؛ إذ إنَّه يتيح لمحلِّل النصِّ الوقوفَ على النص ودلالته لنصٍّ ما، ومن ثَمَّ الوقوف على ما تحمله تلك الألفاظ من إمكانات دَلاليَّة وبلاغية؛ لأن العلاقةَ بين النحو والمعنى الأدبي علاقةٌ وثيقة تواشجية مترابطة فيما بينها ، حيث لا يتَّضح معنى نصٍّ ما إلا من خلال تحديد وظيفةِ الكلمة في تركيب النصِّ، وعلاقتها بما قبلها وما بعدها، وكيفيتها من حيث التقديمُ والتأخير، وإنَّ أي تغيُّر في شكل التركيب لا بد أن يتبعَه تغيُّرٌ في المعنى المراد. يقول الدكتور محمد عبدالله جبر:" وفي ظنِّي أن التراكيب النحوية أولى بأن تكون مجالاً للدَّرس الأسلوبي؛ فإن ما يقرِّره علم النحو من البدائل المتاحة أمام الأديب قدرٌ غيرُ قليل من التَّراكيب الصحيحة، وإن تكنْ متفاوتةَ الدرجة من حيث القبولُ"[34]. وإذا كان النحو مليئًا بالأوجه النَّحوية الجائزة التي تُتيح لمنشئِ النص أن يأتيَ بصُوَرٍ عدة لتركيب معيَّن، عن طريق الحذف، والتقديم والتأخير، فإنَّ من الضروري الوقوفَ على دور المعنى في توجيه الأديب –شاعرًا كان أو ناثرًا –لاختيار وجه نحويٍّ معيَّن من بين عدة وجوه جائزة؛ نظرًا لانفراد هذا الوجه بفائدةٍ دلالية.

ويؤكد عبد القاهر الجرجاني أهمية أن يتوخى المتكلم أو الأديب معاني النحو قائلاً:" وإنك إن عمَدت إلى ألفاظ فجعلتَ تُتبع بعضَها بعضًا من غير أن تتوخَّى فيها معانيَ النحو، لم تكن صنعتَ شيئًا تُدعَى به مؤلِّفًا"[35].

---

[31] () للاستزادة ينظر: عبد الله جاد الكريم، المعنى والنحو، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2002م.

[32] () السيوطي، الاقتراح، (ص31).

[33] () محمد حماسة عبد اللطيف، الإبداع الموازي (التحليل النصي للشعر)، (ص10).

[34] () محمد عبد الله جبر، الأسلوب والنحو (دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية)، (ص7).

[35] () عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، (ص370، 371).

ومما سبق وغيره يتَّضح أن النصَّ ليس مجرَّدَ نظام يشكِّلُه المتكلم في ذهنه قبل أن يركبه على لسانه أو يسجِّلَه على ورقته، فالنص أقرب إلى المنجَز؛ إذ يستعير من اللُّغةِ نِظامَها ومن الكلامِ معناه وسياقَه. إذًا أهمية النحو في بناء التركيب، ثم أهميَّته في تحليله، فمُنشئُ النصِّ يستخدم النحوَ في بناء النص، ويوظِّف ما يقدمه من تراكيبَ مختلفةٍ لأداء المعاني المختلفة، وهو لا يختار التَّركيب اختيارًا عشوائيًّا، وإنما يعمِد إلى اختيار التركيب الذي يؤدِّي المعنى الذي يريده، ويلائم السِّياقَ الذي يُورده فيه، فقد يكون هناك أكثرُ من تركيبٍ يؤدي معنى واحدًا، ولكن كلَّ تركيب يحمل دَلالة لا يحملُها غيرُه من التراكيب، وحينئذٍ لا بدَّ أن يختار مُنشئ النصِّ التركيبَ المناسب، مع عدم إغفالِ السياق؛ فقد يكون لتركيبٍ ما دلالة معيَّنة في سياقٍ ما، ثم يأتي نفسُ التركيب في سياق آخرَ حاملاً دَلالة أخرى، فدلالة التركيب الواحد تختلف من سياقٍ لآخر، يقول الدكتور محمد حماسة عبداللطيف:" الأشكال النَّحوية لا يكون لها أهميَّة أسلوبية إلا حين تُربط بالسياق الذي يضعُها فيه الكاتب، وليس اتِّفاق الأشكال النحوية دليلاً على اتفاق دلالتها، بل إنها تُشير إلى ظواهرَ أسلوبيَّةٍ مختلفة"[36]. مما يجعل لكلِّ تركيب استعمالاً لغويًّا معيَّنًا في مقام معين يختلف عن استعمال ما سواه من تراكيب؛ "إذ إنَّ لكل تركيب في التوظيف الأدبي معنًى أعمقَ مما يتبادر إلى الذِّهن للوهلة الأولى، أو بالنظرة السريعة"[37].

كما أن: "لكل صورة دلالتها الخاصَّة التي يختارها البليغ بحسَب الأحوال، ففضيلة البيان لا تعود إلى اللَّفظ من حيث اللفظُ؛ وإنما تعود إلى النَّظم وترتيب الكلام وَفْقَ ترتيبِ معانيه في النفس"[38]. وهذا التأمُّل الدقيق هو وظيفةُ محلِّل النص؛ إذ يجب عليه أن ينطلق من التَّراكيب النَّحْوية نحو المعاني الدقيقة والبلاغية لنصٍّ ما؛ مما يجعله يقف على سرِّ إبداع النص اللُّغوي.

- **المحور الثالث: تطور التواشج المعرفي بين الأدب والنحو قديمًا وحديثًا.**

يعرِّف " الأشموني " النحو بأنه:" هو العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة من استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها ". وذكرنا سلفًا ارتباط النحو العربي بالأدب ارتباطًا عضويًّا، حيث اعتمد النحو على الأدب في وضع قواعده. ولأنَّ العَرَبَ "كانتْ تُعنَى بأَلْفَاظِهَا فَتُصْلِحُهَا وتُهذبها وتُراعيها، وتُلاحظ أحكامها بالشِّعْرِ تارةً وبالخُطَبِ تارةً أُخْرَى، بالأسجاعِ التي تلتزمها وتتكلَّفُ استمرارها، فإنَّ المعاني أقوى عندها وأكرمُ عليها، وأفخمُ قدرًا في نفوسها"[39]، ولذلك نجد أن النحاة العرب قد أباحوا للشاعر العربي ما يبح لغيره من

---

[36] () ا محمد حماسة، لإبداع الموازي، (ص27). وينظر: السيد عبد الراضي، دور النحو في فهم وتحليل النص الأدبي، موقع شبكة الألوكة.

[37] () مروان محمد سعيد عبد الرحمن، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، (ص74).

[38] () عفت الشرقاوي، بلاغة العطف في القرآن الكريم (دراسة أسلوبية)، (ص18).

[39] () ابن جني، الخصائص (237/1).

المتكلمين، لأن:" الشُّعراءُ أُمَرَاءُ الكَلامِ يَصرفُونه أَنّى شَاءُوا. ويجوزُ لَهُمْ ما لا يجوزُ لغيرهم من إطلاقِ المعْنَى وتقييدِهِ، ومن تصريفِ اللَّفظِ وتعقيدِهِ، ومَدِّ المقصورِ وقصرِ الممدودِ، والجمعِ بين لغاته والتفريق بين صفاته، واستخراج ما كلَّتْ الأَلسُنُ عَنْ وَصْفِهِ ونَعْتِهِ والأذهانُ عن فهمه وإيضاحه، فيقرّبُون البعيدَ ويُبعِدُونَ القَريبَ، ويُحتَجّ بهم ولا يُحتجُّ عليهم، ويُصوّرون البَاطلَ فِي صُورةِ اَلْحَقِّ، واَلْحَقَّ فِي صُورةِ البَاطِلِ".[40] كما أنَّ لِلشِّعرِ طبيعةٌ لُغويَّةٌ خَاصَّةٌ بِمَا يَتَّسِمُ به من اَلْوَزْنِ وَالقَافِيَةِ ، وفِي سبيلِ اَلْمُحافظةِ عليهما يَجُوزُ للشَّاعِرِ أَنْ يرتكبَ خَطأً نحويًّا أو صرفيًّا، وفي هذا **يقولُ سيبويه** إمام النحاة في باب «هذا بابُ ما يحتملُ الشِّعرُ»:" اِعْلَمْ أَنَّه يجوزُ فِي الشِّعرِ ما لا يَجوزُ فِي الكَلامِ"[41]. ويقولُ أيضاً:" وليس بمستنكَرٍ في كلامهم أنْ يكون اللَّفظُ واحداً والمعنى جميعٌ حتَّى قال بعضُهم في الشِّعرِ من ذلك ما لا يُسْتَعْمَلُ في الكلامِ"[42].

وَلَقَدْ أَلِفْنَا تسميةَ خُروجِ الشُّعراءِ عَنْ بعضِ القَواعِدِ «الضَّرُورةَ الشِّعريَّةَ» [43]، وهي الخُروجُ عَنْ القَاعِدَةِ لأجلِ إقامةِ الوَزْنِ والقَافيةِ، وفي هذا الشَّأنِ يقول السَّيوطي:" إنَّ الجُمهورَ من النُّحاةِ ذهبُوا إلى أَنَّ الضَّرورةَ هي: ما وقع في الشِّعرِ مِمَّا لا يقعُ فِي النثرِ، سواءً كان للشَّاعرِ عنه مندوحة أم لا"[44]؛ لأنَّ "الشِّعرَ موضعُ اضطرارٍ وموقفُ اعتذارٍ، وكثيراً مَا تُحرَّفُ فيه الكلمُ عن أبنيته وتُحالُ فيه المثُلُ عن أوضاعِ صيغها لأجله"[45].

وتطورت هذه العلاقة التواشجية المتينة بين الأدب والنحو، وبلغ الأمر أن الغاية الحقة من النحو هي فهم النص والخطاب ومعرفة معاني النصوص العربية على اختلافها يقول الجاحظ:" فللعرب أمثالٌ، واشتقاقات، وأبنية، وموضع كلام يدل عندهم على معانيها وإرادتهم، ولتلك الألفاظ مواضع آخر، ولها حينئذٍ دلالاتٌ أخر؛ فمن لم يعرفها جهل تأويل الكتاب والسنة، والشاهد، والمثل [46].

ويتتبع " ابن جني " هذا المعنى في استعمال الشعراء فيرى أن الكلام إذا أُريد به التأثير في سامعة تأثرًا حسنًا ينبغي أن يكون مؤلفًا من جمل كثيرة، لتمتع المتلقي وتؤثر فيه، فيقول:" ومعلوم أن الكلمة الواحدة لا تشجو، ولا تحزن،

---

40 () حازم القرطاجي، منهاج البلغاء، (ص143-144). وينظر: ابن فارس، الصاحبي، (ص275)، السيوطي، المزهر، (471/2).

41 () سيبويه (الكتاب، (26/1).

42 () سيبويه (الكتاب، (209/1).

43 () ينظر التفاصيل في: القزاز القزويني الضرائر، محمد حماسة عبد اللطيف، الضرورة الشعرية،

44 () السيوطي، الاقتراح، (ص12).

45 () ابن جني الخصائص، (188/3).

46 () الجاحظ الحيوان، (102/1).

ولا تتملك قلب السامع إنما ذلك فيما طال من الكلام؛ فالكلام إذن إنما يعني المفيد من هذه الألفاظ القائم برأسه المتجاوز لما لا يفيد، ولا يقوم برأسه من جنسه، ولا يكون إلا جملا كثيرة، فضلا عن الجملة الواحدة "[47].

إن النص عند برينكر " تتابع متماسك من علامات نحوية أو مركبات من علامات لنحوية لا تدخل –لا تحتضنها–تحت أية وحدة لنحوية أخرى –أشمل–وفي تعريف آخر عنده أيضًا النص هو: مجموعة منظمة من القضايا أو المركبات القضوية، تترابط بعضها مع بعض، على أساس محوري ـ موضوعي ـ أو جملة أساس من خلال علاقات منطقية دلالية"[48].

والمبدع لا يبدع بالكلمة المفردة ولا حتى بالجملة الواحدة، وإنما يصل إلى غرضه بنص متكامل، يستطيع بمجموع عناصره وأسلوب تأليفه بين هذه العناصر في بناء متسق أن يؤثر في المتلقي التأثير المطلوب، يقول ابن جني:" لا يكون مع الحرف ولا الكلمة الواحدة، بل لا يكون مع الجملة الواحدة، دون أن يتردد الكلام، وتتكرر فيه الجملة، فيبين ما ضُمِّنَهُ من العذوبة وما في أعطافه من النعمة واللدونة". [49]

ويدعو الدكتور أحمد كشك إلى نحو الكلام –النص–لا نحو اللغة، فالكلام " تحقيق فِعْلي حي لتلك الصورة المختزنة في ذهن الجماعة، وهذا الكلام مجاله أرحب وأوسع من مجال اللغة؛ فحيث تختزن اللغة في الذهن بعلاقة تجريدية يبدو الكلام أمرًا مركبًا يحتاج على الأقل إلى متكلمٍ، ومتلقٍ، ومشهدٍ، وموقفٍ خاص، وزمانٍ ومكانٍ، ودلالاتٍ تكون مقصودة أو مرتجلة، بمعنى آخر هو مسرح وإيقاع حياة"[50].

ولا ينحصر النحو العربي في كتب النحو المعروفة على أهميتها ووفائها فما أكثر النحو المفرق في كتب العربية المختلفة، كما يقول الدكتور محمود الطناحي:" إن مجاز كتب العربية مجاز الكتاب الواحد ففي كتب التفسير وعلوم القرآن نحو كثير، وفي معاجم اللغة وكتب الأدب والبلاغة نحو كثير، بل إنك واجد من كتب أصول الفقه والسير والتاريخ والمعارف العامة من أصول النحو وفروعه ما لا تكاد تجده في كتب النحو المتداولة [51].

وإن العدول عن الأصل لا التمسك به هو سر هذه النظرة الخاصة للشعراء، وكأن الشاعر قد عدل عن الأشهر إلى الأخفى، إما اضطرارًا إلى ذلك أو قصدًا إلى الافتنان في معاني الكلام والاتساع ففي مذاهبه، فمن عادتهم أن

---

47 () ابن جني، الخصائص، ا (1/28-29).

48 () ينظر: جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، (ص71)، سعيد البحيري، وعلم لغة النص، (ص79)، عبد القادر شرشار، وتحليل الخطاب الأدبي، (ص47).

49 () ابن جني، الخصائص، (1/32).

50 () أحمد كشك، اللغة والكلام، (ص10).

51 () محمود الطناحي أمالي ابن الشجري (المقدمة)، (1/10-11).

يتلاعبوا بالكلام على وجوه من الصحة "[52]. ويشترط " حازم القرطاجني " فيمن يتعامل مع نصوص الشعراء أمورًا تجعله على مستوى الشعراء أنفسهم في الإبداع فيقول:" وليس ينبغي أن يعترض عليه في أقاويلهم إلا من تزاحم رتبته في حسن تأليف الكلام وإبداع النظام رتبتهم فإنما يكون

فضل التأليف على قدر فضل الطبع والمعرفة بالكلام"[53]. ومن أمثلة أهمية النحو في تحليل النص الشعري وترجيح رواياته قول البكري في بيت زينب بنت الطثرية:

كريم إذا لاقيته متبسمًا . . وإما تولي أشعث الرأس جافله

هكذا رواه أبو علي وغيره يرويه: (كريم إذا استقبلته متبسم) وهذه أحسن لفظًا وإعرابًا؛ لأن قوله (استقبلته) أحسن مطابقة لقوله (وإما تولى). وكذلك الرفع في قوله (متبسمٌ) أجود في المعني؛ لأنك إذا نصبته أوجبت أنه لا يكون كريمًا إلا في حين تبسمه، وإذا رفعت فهو كريمٌ مُتبسمٌ متي استقبلته أو لاقيته". [54]، وهذا دليلٌ على أهمية العلامة الإعرابية في توجيه الشعر وتحليله وتجويد المعنى.

ومن مظاهر الترابط بين النحو والأدب «علم نحو النص» هو الذي يعالج الظواهر اللغوية في إطار النص بوصفه وحدة كبرى، ولا يقف عند حدود الجملة فحسب؛ إذ يتم دراسة علاقات الربط بين الجمل المتعددة في إطار النص الذي يحويه[55]، فعلم نحو النص يهتم بدراسة ظواهر تركيبية نصية، منها: علاقة التماسك النحوي النصي، وأبنية التطابق، والتقابل، والتراكيب المحورية، والتراكيب المجزأة، وحالات الحذف، والتحويل إلى ضمير، وغيرها[56]. وعلم نحو النص أيضًا هو: "تجاوز الدراسة اللُّغوية مستوى الجملة إلى مستوى النص، والربط بين اللُّغة والموقف الاجتماعي"[57]؛ لأن النص عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة، وإن الخطاب عبارة عن وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة. ونعني بالتنضيد ما يضمن العلاقة بين أجزاء النص والخطاب مثل أدوات العطف وغيرها من الروابط، وبالتنسيق ما يحتوي أنواع العلائق بين الكلمات المعجمية، وبالانسجام ما يكون من علاقة بين عالم النص وعالم الواقع[58]، ويشير محمد حماسة عبد اللطيف إلى أن النَّصَّ لا يصبح نصًّا إلا إذا كان رسالة لغوية تشغل حيزًا مُعيَّنًا، فيها جديلة مُحكمة مضفورة من المفردات والبنية النحوية، وهذه الجديلة

---

[52] () حازم القرطاجي، منهاج البلغاء، (ص181).

[53] () حازم القرطاجي، منهاج البلغاء، (144)

[54] () البكري، التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه، (98،99/3).

[55] () إبراهيم الكريم، تحديد المفاهيم، (ص61).

[56] () المصدر السابق، (ص62).

[57] () جميل عبد المجيد، البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، (ص66).

[58] () محمد مفتاح، التشابه والاختلاف نحو منهاجية شمولية، المركز الثقافي العربي، (ص35).

المضفورة تؤلف سياقا خاصا بالنص نفسه، يثبت في المرسلة اللغوية كلها، فينبغي إذن أن يكون لكل نص هدف وبناء محكم وسياق خاص"[59].

إن نحو النص يستخدم أدوات النحو ذاتها ويوظفها في تحقيق الترابط بين الجمل المتوالية في النص، من حيث عناصره ووحداته الدلالية الصغرى، فالنص بنية تتشكل وفقا لوسائل لغوية بينها علاقات فيما وراء الجملة بين الجمل والفقرات والنص بمجمله، وذلك على المستوى المعجمي والمستوى النحوي (الصوت والصرف والتركيب) والمستوى الدلالي.

ومن الأمثلة أيضا التي توضح أهمية النحو في تحليل النصوص والترابط الفكري والوجداني، في فهم الدلالة وترتيبها عبر متخيل النصي للشعر، قول ابن المعتزّ:

وَإِنِّي عَلَى إِشْفَاقِ عَيْنِي مِنَ الْعِدَا لَتَجْمَحُ مِنِّي نَظْرَةٌ ثُمَّ أُطْرِقُ

يبيّن عبد القاهر الجُرجاني دَور توظيف الشاعر لِما قدَّمه النحو من قواعد في إخراج البيت السابق على ما هو عليه من حُسن النظم والبلاغة، يقول: "فترى أنَّ هذه الطلاوةَ وهذا الظُّرف إنما هو لأن جعلَ النظر "يجمحُ"، وليس هو لذلك، بل لأن قال في أول البيت: (وإني) حتى دخلَ اللامُ في قولِه: "لَتجمحُ"، ثم قولُه: "مني"، ثم لأنْ قالَ: "نظرةٌ"، ولم يقل: النَّظرُ مثلًا، ثم لمكانِ "ثمَّ" في قولِه: "ثم أُطرِق"، ولِلَطيفةٍ أخرى نصرتْ هذه اللطائفَ، وهي اعتراضُهُ بينَ اسم "إن" وخبرِها بقوله: "عَلَى إِشْفَاقِ عَيْنِي مِنَ الْعِدَا"[60].

إذًا "يُعدُّ التواشج المعرفي بين علوم اللغة والأدب نموذجًا واضحًا في هذا المجال، إذ اعتبرتهما الثقافة العربية توأمين يتقاطعان ويتكاملان، ولا يعمل أحدهما بمعزل عن الآخر، حيث كان الأديب في تراثنا العربي يقوّم لسانه ويصحح لغته باطلاعه على علوم اللغة من نحو وصرف وبلاغة وعروض، وقد كان اللغويُّ شديد الصلة بنصوص الأدب يتفحصها، وينمي بها ذوقه ليصبح قادرًا على بلاغة الأداء. بل لم تنشأ علوم اللغة إلا لإدراك جمالية النصوص وأدبيتها، ولا يمكن تصور الخوض في نقد النصوص ومقاربتها دون التسلح بهذه العلوم"[61]

وخلاصة القول إن القدماء والمحدثين لهم معالجات للنص انطلاقًا من الظواهر اللغوية والنحوية المتوفرة لديهم، كالشعر والخطب.

---

[59] أحمد عفيفي، نحو "اتجاه جديد في الدرس النحوي"، (ص25).

[60] عبد القاهر الجرجاني ا، دلائل الإعجاز، (ص99).

[61] الإدريسي ،2014، التكامل المعرفي بين علوم العربية: النحو، الصرف، الإملاء، البلاغة وأصول النحو، http://www.m-a-arabia.com/.

الخاتمة

كان هدف هذه الدراسة – وهي ممارسة وصفية استقرائية ميدانها التواشج بين الأدب والنحو في التراث الأدبي–، لبيان مدى استطاعة القدماء والمحدثين معالجة النصوص انطلاقًا من الظواهر اللغوية والنحوية المتوفرة لديهم، كالشعر والخطب.

وقد قامت هذه الدراسة على افتراض جوهري مفاده أن علمي الأدب والنحو من علوم العربية التي تتواشج فيما بينها من خلال الاعتماد على علاقات تتضافر فيما بينها لتحقق المتعة الجمالية للنص الأدبي، وقد توصلت الدراسة إلى نتائج عدة، أهمها:

1–الأدب والنحو علمان أساسيان مهمان في العلوم العربية لا يمكن الاستغناء عنهما أو عن أحدهما.

2–الأدب العربي خاصة الشعر أسبق نشأة من النحو، وكان العماد الرئيس في وضع قواعد علم النحو العربي.

3–أن اتساق النص وانسجامه يتطلبان شبكة من العلاقات بين الجمل المتباعدة داخل النص، وعلاقه بمحيطه الخارجي.

4–ترخص النحاة العرب مع الشعراء في لغتهم؛ لأن الشعر موضع اضطرار، وله شروط وضوابط خاصة.

5–النحو وقواعده ضروري لفهم المعنى وتحليل النصوص الأدبية.

6–**نحو** النص من الدراسات الحديثة من الظاهر التي تؤكد التواشج المعرفي بين الأدب والنحو.

7–الأدب العربي لا يستغني عن النحو وقواعده قديمًا وحديثًا في كل أنواعه وصوره.

- **أهم التوصيات:**

1–الإكثار من الدراسات التي تتناول أثر الحداثة في التكامل المعرفي بين الأدب والنحو العربيين.

2–المقارنة بين دور الأدب العربي نشأة النحو العربي ودور الآداب الغربية في نشأة قواعد لغاتها.

3–الحرص على تعلُّم النحو العربي؛ كي يكون سبيلًا لفهم النصوص العربية الفصيحة.

4–التماس اللغة في العلاقة التواشجية بين النحو والأدب في الدراسات الأدبية والنقدية الحديثة؛ لما لهذا التواشج من حياة في بقاء خصائصها التَّركيبية ونظمها وقوانينها.

أولا: المصادر والمراجع

ضياء الدين نصر الله ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تحقيق أحمد الحوفي، وبدوي طبانة، دار نهضة مصر، الفجالة، القاهرة،1959م.

الإشبيلي، ابن عصفور، **المقرب، ابن عصفور الإشبيلي**، تحقيق عادل أحمد عبد الجواد وعلي محمد معوض.ط1. دار الكتب العلمية، بيروت ،1998م.

البحيري، سعيد، **علم لغة النص**. ط1. مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر –لونجمان، القاهرة، 1997م.

البكري، عبد الله بن عبد العزيز، **التنبيه على أوهام أبي علي في أماليه**، ط2، دار الكتب المصرية، القاهرة 2000م

التهانوي، محمد بن علي، **كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم**، تحقيق علي دحروج، ترجمة جورج زيناني. ط1. مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، 1996م.

الجاحظ، عمرو بن بحر، **الحيوان**، ط2. دار الكتب العلمية، بيروت، 1424هـ

جبر، محمد عبد الله، **الأسلوب والنحو** (دراسة تطبيقية في علاقة الخصائص الأسلوبية ببعض الظاهرات النحوية)، ط1. دار الدعوة للطباعة والنشر بالإسكندرية،1988م.

الجرجاني، عبدالقاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق محمود محمد شاكر، ط3، مطبعة المدني بالقاهرة، ودار المدني بجدة،1992م.

الجرجاني، علي بن محمد السيد الشريف، **التعريفات**، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت ،1983م.

ابن جني، أبو الفتح عثمان، **الخصائص**، تحقيق محمد علي النجار، ط4، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة 1983م.

ابن حزم، علي، **الإحكام في أصول الأحكام**، ط2. تقديم: إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة، بيروت 1983م.

حسان، تمام، **الأصول**، ط1. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1982م.

الحموي، ياقوت، **معجم الأدباء**، تحقيق إحسان عباس. ط1. دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1993م.

خفاجي، محمد، **الشعر الجاهلي**، ط1، دار الكتاب اللبناني للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت 1986م.

ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، **مقدمة ابن خلدون**، تحقيق على عبد الواحد وافي. ط1. دار الشعب، القاهرة، 1962م.

الراجحي، عبده، **النحو العربي والدرس الحديث**، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع القاهرة، 1986م.

الرافعي، مصطفى صادق، تحت راية القرآن. ط4. مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1956م.

الرازي، أحمد بن فارس، **الصاحبي**. تحقيق السيد صقر، مطبعة الحلبي، القاهرة، 1977م.

الزجاجي، أبو القاسم عبد الرحمن اسحق، **الإيضاح في علل النحو**، تحقيق د. مازن مبارك، ط3، دار النفائس، بيروت ،1979م.

الزركشي، محمد بن عبد الله البرهان، **البرهان في علوم القرآن**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مكتبة دار التراث القاهرة، 1984م.

الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو، **المفصل في صنعة الإعراب**، تحقيق د. علي بو ملحم.ط1.مكتبة الهلال، بيروت، 1993م.

ابن السراج، **أصول النحو**، تحقيق عبد الحسين الفتلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1988م.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر (د.ت). **الكتاب**، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.

السيوطي، جلال الدين بن عبد الرحمن، **الاقتراح في أصول النحو**، تحقيق محمد حسن الشافعي. ط1. دار الكتب العلمية، بيروت، 1981م.

الشايب، أحمد، **أصول النقد الأدبي**، ط10. مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1994م.

ابن الشجري، ضياء الدين أبو السعادات، **أمالي ابن الشجري**، محمود الطناحي، مكتبة الخانجي، القاهرة،2014م.

شرشار، عبد القادر، **تحليل الخطاب الأدبي**، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2006م.

الشرقاوي، عفت، **بلاغة العطف في القرآن الكريم** (دراسة أسلوبية)، دار النهضة العربية، بيروت، 1981م.

عامر، فتحي أحمد، **من قضايا التراث العربي**، الشعر والشاعر، منشأة المعارف لإسكندرية، 1985م.

.

عبد اللطيف، محمد حماسة، **الضرورة الشعرية**، محمد حماسة عبد اللطيف، مكتبة دار العلوم، القاهرة، 1979م.

عبد اللطيف، محمد حماسة، **الإبداع الموازي (التحليل النصي للشعر)**، دار غريب، القاهرة ،2001م.

عبد المجيد، جميل، **البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية**، ط1. الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1989م.

العسكري، أبو هلال، **كتاب الصناعتين**، تحقيق محمد علي البجاوي، ومحمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. المكتبة العصرية، بيروت ،1998م.

عفيفي، أحمد، **نحو النص "اتجاه جديد في الدرس النحوي"**، ط1. مكتبة زهراء الشرق، تونس، 2001م.

الفيزورآبادي، مجد الدين أبو طاهر، القاموس المحيط، الفيروز آبادي. ط8. مؤسسة الرسالة،بيروت، 2005م.

القرطاجي، حازم، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تحقيق محمد الحبيب بن الخوجة. ط1. دار الكتب الشرقية، تونس،1966م.

القزويني، القزاز (د.ت)، **الضرائر**، تحقيق محمد زغلول سلام ومحمد مصطفى هدارة، نشأة المعارف، الإسكندرية.

القلقشندي، أبو العباس أحمد، **صبح الأعشى في صناعة الإنشاء**، دار الكتب العلمية، بيروت، 1987م.

الكريم، إبراهيم، تحديد المفاهيم، إبراهيم الكريم، مجلة العلوم الاجتماعية، سنة 6، ع13، الكويت ،1978م.

كشك، أحمد، **اللغة والكلام**، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة،1995م.

مسكويه، أبو علي، **الهوامل والشوامل**، تحقيق سيد كسروي، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، 2001م.

مفتاح، محمد، **التشابه والاختلاف –نحو منهاجية شمولية**، ط1، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء. 1996م.

مندور، محمد، **الأدب وفنونه**، ط1. نهضة مصر للطباعة والنشر، الفجالة، القاهرة،2006م.

*****

ثانيا: الرسائل العلمية

عبد الرحمن، مروان محمد سعيد، دراسة أسلوبية في سورة الكهف، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية بنابلس، 2006م، فلسطين.

ثالثا: الأوراق العلمية

"الإدريسي، ربيعة العمراني. 2014م، **التكامل المعرفي بين علوم العربية: النحو، الصرف، الإملاء، البلاغة وأصول النحو**"، http://www.m-a-arabia.com/

"عبدالراضي، السيد، **دور النحو في فهم وتحليل النص الأدبي، موقع شبكة الألوكة، بتاريخ 4/ 9/ 2012م**"، https:/ / www.alukah.net

*****